

التناص في الشعر الشعبي الجزائري- الجنوب الشرقي أنموذجا-

مسعود جغبالة¹، شامة مكلي^{2*}

¹ مخبر تحليل الخطاب ، جامعة تيزي وزو ، messaoud.djeghbala@ummtto.dz

² مخبر تحليل الخطاب ، جامعة تيزي وزو ، chama.mekli@ummtto.dz

النشر: 2024/10/25

القبول: 2024/07/26

الإرسال: 2024/05/30

الملخص:

يعد التناص مصطلحا نقديا ظهر حديثا مع ميخائيل باختين وجوليا كريستيفا ، يحاول من خلاله الباحث إيجاد العلاقات القائمة بين نصوص سابقة ونصوص اللاحقة ، وهذا يعكس درجات وعي الكاتب بمختلف النصوص وثرائه الفكري والمعرفي ، حيث يوظف في نصه نصوصا سابقة أو معاصره لتشكيل نص جديد بهوية جديدة ، وهذا ما يبين أن الأدب يعني في جانب من جوانبه إعادة صياغة نصوص سابقة بأشكال مختلفة مع إجراء تغيير عليها . الشاعر الشعبي الجزائري المعاصر يلجأ -بوعين أو بغير وعي- إلى توظيف نصوص أخرى في نصوصه الشعرية باعتباره مبدعا ومثقفا ، له ثقافة تقليدية استمدّها من تراثه الثري ومازجها مع ثقافته العصرية ، ليخرج لنا قصيدة شعبية ثرية بمختلف أنواع المعارف والتقاطعات النصية ، وانطلاقا من هذا نسعى من خلال هذا البحث الإجابة عن التساؤل التالي: هل استطاع الشاعر الشعبي إضفاء جمالية على القصيدة الشعبية الجزائرية باعتماده نصوصا أخرى في تشكيل نصه؟ وإلى أي مدى عكس التناص ثقافة الشاعر لتلبية ذائقة المتلقي المعاصر؟ وهدف هذا البحث هو إظهار تجليات التناص في الشعر الشعبي الجزائري ، وتبيان طبيعته ووظيفته في النص الشعري ، وصولا في النهاية إلى نتيجة مفادها أن التناص عكس ثقافة

* المؤلف المرسل.

الشاعر من جهة ، وثقافة المجتمع من جهة أخرى ، فاللجوء إليه ضرورة بنيوية وسياقية في الوقت نفسه.

الكلمات المفتاحية: تناس ؛ شعر شعبي ؛ تاريخ ؛ ثقافة ؛ تراث.

Intertextuality in Algerian popular poetry- the southeast as a sample-

Abstract:

Intertextuality is a critical term that recently appeared with Mikhail Bakhtin and Julia Kristeva. Through it, the researcher attempts to find existing relationships between anterior and posterior texts. This reflects the levels of the author's awareness of various texts and his intellectual and cognitive richness, as he employs in his text anterior or contemporary texts to form a new text with an identity. This shows that literature means, in one of its aspects, reformulating and modifying anterior texts in different forms. The contemporary Algerian folk poet resorts- consciously or unconsciously- to employing other texts in his poetic texts as he is creative and intellectual person, having a traditional culture that he derived from his rich heritage and mixed with his modern culture to produce at the end a folk poem rich with various types of knowledge and textual intersections. Therefore and based on this, we seek through this research to answer the following question: Did the folk poet succeed to confer aesthetics to the Algerian folk poem by adopting other texts in shaping his text? To what extent did intertextuality reflect the poet's culture to meet the taste of the contemporary recipient? The present research aims at showing the manifestations of intertextuality in Algerian folk poetry and demonstrating its nature and function in the poetic text. We concluded that intertextuality reflected the culture of the poet on the one

hand, and the culture of society on the other hand. So, resorting to intertextuality is a structural and contextual necessity at the same time.

Key words: intertextuality; folk poetry; history; culture; heritage..

1- مقدمة:

يعد التناسل من أبرز المصطلحات النقدية الحديثة، حيث يشير إلى أن النص ما هو إلا حصيلة تفاعل نصوص سابقة، وما هذا التفاعل إلا نتيجة تراكم معارف وأفكار ونصوص لأُمم متعددة وشعوب مختلفة، جمعت بينها وحدة النفس البشرية وتشابه العواطف، وليس غريبا أن يتباين الأشخاص وتتعانق الثقافات وتتأثر بمن حولها وبمن سبقها. «فالتناسل مصطلح نقدي أطلق حديثا وأريد به تعالق النصوص وتقاطعها وإقامة الحوار فيما بينها»¹.

قليل لا شيء ينبت من فراغ فكذلك الإبداع لا يتأتى من لا شيء وكل إبداع مهما كانت أهميته وتميزت خصوصيته يبدأ من عمل إبداعي قد سبقه والعمليات الإبداعية متعددة ومتشعبة والشاعر كغيره من المبدعين تستهويه المعارف وبها يتأثر، وهذا التأثير لا يتركه يسلم من الأخذ منها وقد قال ابن رشيق القيرواني في هذا السياق عن التناسل- بالمفهوم الحالي- « هو باب متسع جدا لا يقدر أحد أن يدعي السلامة منه»².

لم ينغلق النص الشعري الشعبي المعاصر على نفسه، بل أخذ من منابع نصوص سابقة له أو حتى معاصرة ومدّ جسور التواصل إليها جاعلا منها مصدرا من مصادر إثراء معانيه، وهيكلة بنيته الخطابية، وهذا الترابط بين النص الحالي والنص الغائب ينتج لنا نصا جديدا بهوية جديدة، وتظهر عليه سمات نصوص سابقة وسماه أغلب الدارسين والنقاد تناسلا، وتعدد هذا التناسل إلى أوجه عدة منها التناسل الديني والتناسل التاريخي والتناسل الأسطوري والتناسل الأدبي، والتي سنتناول تجلياتها في هذا البحث، وتمثل فيما يلي:

2-التناسل الديني:

لم يسلك شعراء الشعر الشعبي المعاصرين طرق الشعراء الذين كانوا قبلهم والذين طغت على قصائدهم الصبغة الدينية، والتي اعتبرها الكثير من الدارسين بمثابة رد فعل على ممارسات المستعمرين الذين حاولوا طمس الثقافة الدينية، حيث كان الشاعر يبتدئ بالدين وينتهي به وهذا ما ذكره عبد الله الركبي قائلا: «وفي كل هذه القصائد المختلفة الموضوعات

نجد أثر الدين واضحا قويا وهي سمة بارزة في هذا الشعر فقد يبدأ الشاعر بالدين وقد ينتهي به أو يصلي على الرسول (ص)»³.

فالشاعر الشعبي المعاصر لا هو يحاول إثبات ما طُمس ، ولا هو في موضع رجل دين يحاول إيصال الثقافة الدينية ، ورأينا هذا لا يجعلنا في موضع النفي للتناسل الديني في الشعر الشعبي الجزائري المعاصر ، بل نقول: أن التناسل الديني أخذ منحى آخر غير الذي نجاه الأولون ، حيث صار الشاعر يأخذ من القرآن الكريم والسنة الشريفة لأنهما منبعان لا ينضبان من حيث البلاغة والأسلوب والقص وغير ذلك من الجواهر والكنوز.

ومن مظاهر التجريب في الشعر الشعبي الجزائري المعاصر نجد أن الشاعر لا تكاد تلاحظ تناسله الديني إلا من خلال التضمين حيث لا تبدو للمتلقي بل تكتشف من خلال السياق وقد يكتفي الشاعر بومضة أو لمحة ويترك الباقي لذاكرة المتلقي وثقافته الدينية في إكمال الباقي وملء الفراغات ، فقد فهم الشاعر الشعبي الجزائري المعاصر أن ليس من مهامه التعريف والتوضيح وإنما وظيفته هي بناء تجربته الشعرية مستثمرا المعاني الدينية.

أ-التناسل مع القرآن الكريم:

كان القرآن الكريم ولا يزال المعين الذي لا ينضب والمنبع الذي لا يجف فهو الموحى بمعانيه والمشرق بآياته والملمهم بقصصه ، يهرب له الأدباء وينهل منه الشعراء فحضوره مشع في قصائدهم وأثره واضح في تجاربهم ، فهو المرأة التي تعكس المشاعر .
فها هو مصطفى السعدني يقول: «وقد كان القرآن الكريم أول النصوص التي استأثرت بعناية الشاعر المعاصر الذي يحمل من أبعاد اللامحدود للحياة والانسان»⁴.

فالقرآن الكريم أرض خصبة تنبت فيها المعاني وتثمر فيها الدلالات وسنحاول الغوص في هذه التجارب والمعاني والدلالات لإبراز تناسل قصائد الشعراء الشعبيين الجزائريين المعاصرين- في الجنوب الشرقي- مع القرآن الكريم.

تقول الشاعرة مباركة دهنون في قصيدة (شقائق الرجال) في البيت الثاني:

«كانت هايمة في بحر الظلام...ظلمات الجهل ها الزمان سقانا»⁵

نلاحظ ورود لفظتي الظلام وظلمات فهما مقتبستان من القرآن الكريم يُخرجهم من الظلمات إلى النور (البقرة / 257) وهو تناسل استلهمته الشاعرة لقول للمتلقي أنه لا يهين

المرأة إلا أفراد المجتمعات التي تزرخ في ظلمات الجهل أما أفراد المجتمعات المتنورة بنور العلم فهي ترفع من مكانتها عالياً.
أما في البيت الثامن الذي تقول فيه:

«انهار تزيد محكوم عليها بالإعدام...يردموها حية فالجبانة»⁶

وهذا تناص للتذكير بالظلم الذي كانت تعانيه المرأة قبل سطوع نور الاسلام وقد استلهمته الشاعرة من الآية الثامنة من سورة التكوين حيث قال الله تعالى: وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت.⁷

أما الشاعر الجموعي بالمصطفى في قصيدته «الوصية» التي وجهها لابنه يقول في شطر بيت من أبيات القصيدة: «...بالعلم الانسان يتقوى عودو»⁷
وهذا تناص مع قوله تعالى يُرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (المجادلة/11) فهو يحثه على طلب العلم ليقوى عوده ويصل إلى أعلى المراتب ولا يستوي حامل العلم مع الجاهل فمكانة العلم لا تدانيها مكانة وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب (الزمر/9).

في نفس القصيدة وفي الشطر الاول من البيت السادس بعد أن أوصاه بالعلم هاهو يذكره بالرزق والرضا به قائلاً: «رزقك اقنع بيه والرزق مقسم»⁸.

فهنا تناص مع الآية 32 من سورة الزخرف.. نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً..أورد الشاعر هذا التناص ليبين لابنه أن الامر في الرزق لله وحده ولا حيلة له فيه إلا الاستسلام لقدره سبحانه وتعالى وهذا الاستسلام يؤدي إلى تجسيد حالة الرضا وهي دلالة لا يستطيع الشاعر إيصالها دون الاستعانة بالنص القرآني المقدس — عند الابن وأبيه- الذي يدعم هذه الدلالة.

ب- التناص مع الحديث النبوي الشريف:

عنونت الشاعرة مباركة دهنون في ديوانها (الدنيا صعبة) إحدى قصائدها بـ (شقائق الرجال) وهذا العنوان يحيلنا مباشرة إلى قول نبينا عليه الصلاة والسلام..النساء شقائق الرجال فما أكرمهنّ إلا كريم وما أهانهنّ إلا لئيم...رواه (الترمذي/3895) وابن (ماجة/1977) وما استحضار هذا النص إلا استعطافاً لقلب الرجل الذي يظهر أن الشاعرة أحست بظلمه لبني جنسها وها هي تذكره في الابيات السبعة الاولى من هذه القصيدة:

«قبل الايسطع نورك يا اسلام...الامة كانت مغبونة عيانا
كانت هايمه في بحر الظلام...ظلمات الجهل ها الزمان قسانا
المرأة في ذوك الايام...من طرف الجميع كانت مهانة
كانت محقورة ماليها اهتمام...وعليها فاز الراجل بالمكانة
كانت الدنيا في وجهو تظلام...إذا زادت طفلة يشوفها شيطانة
انهار تزيد محكوم عليها بالاعدام...يردموها حية فالجبانة
تلقاهم ذا حفار ولاخر ردام...ويقلك للعار احنا دفانا»⁹

ففي هذه الايات توصيف لوضع المرأة في العصر الجاهلي قبل الاسلام حيث كانت
ترزخ في الجهل والاهانة وليس لها قيمة تذكر ووصل بها الحد إلى الردم وهي حية كما فعل
الصحابي عمر بن الخطاب قبل اسلامه حيث دفن ابنة له وهي حية.
أما في الايات الخمسة التي تليها تخبرنا الشاعرة ان خير الانام محمد عليه السلام نورنا
بالقرآن وأن الله كرم المرأة وأعطاه حقوقها المهضومة ولم يكتف بذلك لعلو مكانتها أن جعل
الجنة تحت أقدامها:

«عطاها حقها لبسها وسام...الجنة تحت قدامك يمانا
مفتاح الجنة تحت الاقدام...هذه نعمة ليها الرب عطانا»¹⁰

في هذين البيتين تناص مع حديث الرسول ص القائل: الجنة تحت أقدام الأمهات ، وأما
البيت الأخير من نفس القصيدة تقول:
«قرا يا راجل مرة فالعام...وقول يا نساء ربي عنكم وصانا»¹¹

ووظفت الشاعرة حديث الرسول: استوصوا بالنساء خيرا...دلالة على أن الرجل عليه أن
يقتدي بالنبى عليه الصلاة والسلام الذي قال عن النساء خيركم خيركم لأهله وانا خيركم لاهلي
والاهل هنا هي الزوجة.

أعاد الشاعر الجموعي بالمصطفي في الشطر القائل: «الكبير قدره والصغير ارحم»¹²
كتابة النص وفق وعيه الفني بحقيقة النص الغائب ، وهو حديث الرسول ص ليس منّا من لم
يرحم صغيرنا ويوقّر كبيرنا...وهذا يدل على أن الشاعر لاحظ أن الناس في مجتمعه صاروا
لايبالون برحمة الصغير و توقير الكبير كما عهدوا شاعرنا في أيامه ، فهذا هو يوصي ابنه ويذكره
بهذه السنة المحبة ويحاول ترسيخها في ذهنه.

وفي القصيدة نفسها وفي شطر منها : «والمسلم خوك في وجهه اتبسم»¹³ ... استدعى حديث النبي عليه السلام القائل: الابتسامة في وجه أخيك صدقة...
 لم يجد الشاعر (الجموعي بالمصطفى)، في معرض وصيته لابنه ، مصدرا لترسيخ مبادئه في ذهن كالقرآن الكريم ، ولم يجد ما يرغبه بتطبيق وصاياه كترغيبه في ورود حوض النبي عليه السلام فيها هو يقول له في شطر من قصيدة (الوصية):
 «سعد اللي رضاه وحوضه ورده»¹⁴ ...

وهذا تناص مع الحديث القائل: إن لكل نبي حوضا... وكان قصديا ؛ لأن الشاعر صاحب رسالة وهي تربية ابنه التربية السوية.
 ونجد في قول الشاعر (بلقاسم حرز الله) في قصيدته النخلة :
 «لو نحكي عنك يا عمتي نبطا...تنسي الهم اللي انت كان معييك»¹⁵

لفظة عمتي تحيلنا بسرعة خاطفة لحديث الرسول ص...اكرموا عمّتكم النخلة فإنها خلقت من الطين...وهو تناص له دلالة عميقة المعنى فالشاعر استحضّر الحديث الذي نستنبط منه أن النخلة عمّتنا فهو اعتبرها عمته حقا ، وما هو يبثها لواعجه فكأنه يصبرها ويقول لها: لا تحزني فلو احكي لك عن همّي تسنين همّك.
 2-التنصص الأسطوري:

إن اطلاع شعراء الشعر الشعبي على الشعر الغربي أو المترجم عنه ، أو بمن تأثروا به من رواد شعر التفعيلة وحاملوا لواء التجديد ، والنظر في الآداب اليونانية التي تدرس في المدارس الحكومية ، والسّماع إلى حكايات الجدّات والشيخوخة عن الغول وغيره من الأساطير ، أدى الى الأخذ من هذه الحكايات والأساطير ومحاكاتها والتفاعل معها والاستعانة بها ، واتخاذها أيضا مصدرا من مصادر الخيال ، ومنبعا من منابع الإلهام ، وعنصرا من عناصر تجاربهم الشعرية ، فالشاعر الشعبي كغيره من الشعراء استخدم الأساطير في شعره وذلك لبث مشاعره وأحاسيسه لتحقيق أهدافه الشعرية ، وذلك باستخدام الأسطورة لتعبر عن همومه الذاتية وواقعه المعاش وما توظيفها إلا علامة على نزوجه ودليلا على سعة اطلاعه وتنوع ثقافته فالأسطورة معنا لا ينضب لمن أراد المزج المعرفي بين الماضي والحاضر وانطلاقا من هذا سنحاول البحث في قصائد الشعر الشعبي عن ملامح التوظيف الأسطوري فيها واستخراجه .

من خلال الاطلاع على ديوان لهيب المشاعر للشاعر (بوطي غطاس) نجده وظف أسطورة (أغيهار والبقرة الباكية) وجعلها عنواناً لإحدى قصائد الديوان ، حيث إن الأسطورة تحكي عن الصياد أغيهار الذي استنجدت به قبيلته عندما عمّ الجفاف بأراضيها ، وقحلت السهول والحقول ليصطاد لأفرادها ما يأكلونه ، وبالفعل خرج أغيهار للصيد ووجد ثلاثة بقرات ، وحين صوّب رمحه لمح بقرة تبكي فرقّ لحالها ، ولم يكتف بذلك بل نقش صورتها على الصخور والتي مازالت لحد الآن مخلدة ولها قيمة عالية ، حيث قال في بيت من قصيدته:

«انحتها بكمالها عادت تذكّار...تزوروا كل الناس فالقيمة غالي»¹⁶

من خلال هذا البيت نستنبط أن الشاعر يقيم الفن ويعتبره العنصر المخلد للإنسان فلو اصطاد أغيهار البقرة لنساء التاريخ ولم يخلده ، ولكن إحساسه الفني الذي جسّده نقشا مرسوما ، جعله مخلدا عبر العصور وما استدعاء اسم أغيهار إلا دليلا صارخا على طغيان صفة الشاعر على صفة الإنسان فكان الشاعر (بوطي غطاس) يقول للجميع: حبّي للنساء لم يكن لاصطيادهن بل لرسمهن في تجربتي الشعرية ، ليخلدن فتجربة أغيهار أسقطها الشاعر على تجربته الشعرية حيث عمل على تطويع الأسطورة لتعبر عن حالته وهمومه الذاتية. فاستخدام الأسطورة دليل واضح على نضوج التجربة الشعرية للشاعر بوطي غطاس.

3-التناص الأدبي:

يعتبر الشعر العربي منذ القدم وعبر عصوره المتتالية مصدرا للإلهام الفني والذوق الجمالي فترتاح في كنفه الذائقة العربية ويستظل تحت دوحته الشاعر ، فلا نكاد نجد شاعرا عربيا لم يأخذ من معينه أو يتأثر بأشكاله أو موضوعاته أو مضامينه. والمطلع على الدواوين الشعرية لمختلف الشعراء يستشف ملامح الاشتراك بين النصوص الحاضرة والقديمة ، وهذا المتلقي المطلع إذا اعتمد على ذاكرته يقف على المتشابه والمتمائل ، ولا ضير في ذلك فقد صار الرأي مسلما به وهو أن الشعر العربي مصدرا من مصادر الإلهام لأغلب الشعراء ، سواء من كتبوا بالفصحى أو العامية ، فالشاعر الشعبي متشبع بترائه الذي توارثه من الأجداد أو الذي أخذه من الآباء ، وهو متغلغل في ذاته مرفرفة به روحه ، ومتشربة لها نفسه ، وصارت جزءا من تكوينه ، واستطاع من خلاله وبأسلوبه الخاص أن يوظف نصوصا تراثية عن طريق التلميح أو الإقتباس «فالشعرالأصيل هو الذي يعتمد الموروث الأصيل ويحاول تقجيده في ضمير القارئ»¹⁷.

التناس الأدبي له دور مهم في إثراء النصوص الشعرية ويعتبر طاقة محركة لنقل الرؤية التي يريدها الشاعر إلى المتلقي ، فبه يمنح النص الشعري دوران: دور إقناعي والآخر جمالي وبه يثري الشاعر تجربته الشعرية ويحقق التوافق بين ما كان ماضيا مع ما هو حاضر.

نجد في ديوان (الدنيا صعبة) للشاعرة (مباركة دهنون) قصيدة بعنوان «للسبر حدود»¹⁸ المستوحاة من قصيدة للشاعر (عبد الوهاب محمد) التي غنتها أم كلثوم ، فقد خاطب محبوبته عن الصبر وأن للصبر حدود ، فقد ملّ من الوعود والعهود واعتبر كل ما مضى غلطة ولن تتكرر. وأما الشاعرة فقد جاءت قصيدتها على لسانها تخاطب فيها الله عز وجل وتقول له فيها بأنها ملّت من الصبر ، وأنها غير ساخطة على قدره ، وتطمع في الفرج من عنده ؛ لأنه الخالق مفرج الكرب مهما طالت الأزمات فحتما ستفرج. فالشاعر عبد الوهاب كان لصبره حدود واعتبر صبره غلطة لن تتكرر وأما (مباركة دهنون) قالت أن لصبرها حدود ولكن من غير سخط ولا تبرم ، ولا تعتبره غلطة بل مزجت امتعاضها بالتضرع و التوسل والدعاء بالفرج العاجل حيث قالت:

«مباركة دهنون تنظم وتشعر...وتسأل المولى يعجل بفرجاتو»¹⁹

ها هو الشاعر (أحمد جريبيع) يقول:

«الخبز مع الماء مرفوع الرأس...وعلى النيف نموت في أرض لحماة»²⁰

وهذا تناس مع قول عنتره بن شداد:

لا تسقني ماء الحياة بذلة *** بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم *** وجهنم بالعز أطيب منزل

وقد أبيت على الطوى وأظله *** حتى أنال به كريم المأكّل

فالشاعر تمثّل بقول عنتره وهو الصبر على الجوع أحسن له من الذل ، فالعزّ ممتزج بالحنظل خير له من رغد الحياة مخلوط بالمهانة والموت في القفار ، وأنفه شامخ أفضل من حياة المسكنة و الخضوع.

يقول (أحمد جريبيع) أيضا في قصيدته (متشوق للبدو):

«يا محلا بيوتهم زنين النق... من عادة العرب للخيمة يديرو لحبال»²¹

ففي هذا البيت يحجب إلينا الخيمة ويقول ما أحلاها بيوتهم وهو تناص مع قول الأمير عبد القادر:

لاتذمن بيوتا خف محلها *** وتمدحن بيوت الطين والحجر
الحسن يظهر في بيتين رونقه *** بيت مكن الشعر أو بيت من الشعر
فالأمير في هذين البيتين يقول لنا: لا تستهزئوا ببيوت خفّ محلها أو مصنوعة من الشعر
فالحسن كل الحسن يظهر بها.
وأما البيت القائل:

«صيادين لحبار وجدي الحاذق...لرنب والحجلة منها يتعشى لعيال»²²

فحب البدوي للصيد كامن في عروقه ففي هذا البيت تناص مع بيت الأمير:
نباكر الصيد أحيانا فنبتغته *** فالصيد منا مدى الاوقات في دعر
في قصيدة (متشوق للبدو) للشاعر (أحمد جريبيع) الكثير من التناص مع قصيدة الأمير
عبد القادر (يا عاذرا لأمريء عاش في الحضر)؛ لأن كليهما عاش طفولته الأولى في البادية
وعندما انتقلا إلى المدينة اشتاقا للبادية ولجوها المنعش وأفقها الرحب وطبيعتها الخلابة ،
وكأنّهما يقولان لساكنة الحضر أنتم محرومون من لذة عرفناها ، فلا تستهزئوا بما لا تعرفون ،
وعليكم أن تغيّروا نظرتكم تجاه البدو وأنهم بعيدون عن الحضارة ، فالبادية مكان للرفعة و
السؤدد والشجاعة و الكرم ، وكلاهما يحاول الانتصار لعيشة البدو ؛ لأنه يحسنّ في دخيلة
نفسه أنه إن لم يمدحها فهذه خيانة لمرتع الصبا وموطن الآباء والأجداد.

عنون الشاعر (بلقاسم حرز الله) إحدى قصائده بـ (رثاء الأطلال)، وفيها استحضار
لقصائد الشعر الجاهلي التي تبدأ بالوقوف على الأطلال ، وهي ظاهرة برزت عند شعراء
الجاهلية ، خاصة أصحاب المعلقات ، حيث كان الشاعر الجاهلي حين يتشوق إلى محبوبته
يصف الأطلال ويقف على رسم الديار ، ويبكي ويصف أيام الوصل ، وأما الشاعر (بلقاسم حرز
الله) في قصيدته التي أشرنا إليها سابقا لم يبك على المحبوبة فقط بل بكى على كل شيء
جميل وعلى كامل التراث الذي بدأ في الزوال حيث قال:

«وقفت على الاطلال باقي ننامل ... وعيوني ويدان بالدمعة سالو
ونظرت لتراثنا راح تزول ... ما بقي سوى الدائم في حالو»²³

4- التناص التاريخي:

لا يخفى على المغرض قبل المحب دور الشعر الشعبي في تاريخ الجزائر ، فقد كان الراصد والمسجل الدقيق للأحداث ، والمحدد الشاهد للمواقع ، والمؤرخ الأمين للحوادث التاريخية والوقائع المحلية ، والأسماء الوطنية والشخصيات الفاعلة ، وقد اعتمد الكثير من المؤرخين على القصيدة الشعبية كوثيقة تاريخية هامة تعكس الكثير من الجوانب في الحقب الزمنية المتعاقبة فالشاعر يحاول الاستفادة من التاريخ فيتناص مع أحداثه وشخصياته ويستثمر تلك الأحداث المترامية والشخصيات الفاعلة لينفذ من خلالها إلى الحاضر .

فالتناص التاريخي ضروري في تحفيز المتلقي ، فباستحضار الشخصيات ذات القيمة التاريخية يعطي القصيدة مزيدا من المصداقية ، وخاصة إذا كانت هذه الشخصية موثوق بها ومعترف بمواقفها «فالشاعر يجد في الشخصية التاريخية رمزا للتعبير عن تجربته الشعرية ومعادلا موضوعيا لواقعه وحاضره فهو حين يستدعي هذه الشخصيات يستحضر معها ما تحمله من أبعاد نفسية وروحية ليقوم الاستدعاء بوظيفته في النص ينبغي ألا يغفل الشاعر صورة الشخصية المستدعاة في ذهن المتلقي»²⁴.

الشاعر (لعامرة الحاج) له أبيات من قصيدته (الوطن والثورة) يقول فيها:

«ينساو الامير فارسنا البطل...عبد القادر صيدنا بابا لشبال
وباعت النهضة العربي في الاصل...سي عبد الحميد طواع الجهال
بن باديس قال يا جيل الامل...هز سلاحك ماتهابش من لنزال
وبوعامة ذا القدوه والمثل...وكذا من لبطل مازال اومازال»²⁵

قد استدعى الشاعر شخصيات تاريخية كالأمير عبد القادر وبوعامة وبن باديس ، ليستمد منها الدلالات الرمزية التي تحملها ، ويثير اهتمام المتلقي للقصيدة ، ويضفي معارف لشدة انتباهه. وهي شخصيات استحضرها الشاعر للتعريف بها للأجيال الجديدة أيضا واستفزاز فضولهم لمعرفة سير من قادوا لواء العلم والجهاد ، ولشحنهم بروح البطولة والشهامة والدفاع عن الوطن.

خاتمة

وأخيرا لا تخلوا العملية الإبداعية لأي شاعر من الاعتماد على المخزون الثقافي والمعارف المتعددة المصادر ، التي علقت في ذهنه واستقرت في وعيه ، فالتناص يفرض نفسه على المبدع شاء أو أبى ؛ لأنه من غير المنطقي أن نقول عن نص أنه بدأ من الصفر ويخلو من

التفاعل مع نصوص أخرى ، وهذا التفاعل لا يخلو من إضفاء جمالية فنية كما يساهم في الكشف عن الأبعاد التي يرمي إليها الشاعر الذي يحاول استدعاء نصوص سابقة له ليستثمرها في قصيدته ، ولا فكاك للمبدع من الأخذ ممن سبقوه ، وذائقة المتلقين صارت تتقبله وأحيانا تطالب بوجوده لها له من مستوى إقناعي ولمسة فنية.

مصادر البحث ومراجعته:

- أحمد الأمين، من فحول الشعراء في سيدي خالد، بسكرة، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر العاصمة، 2008.
- أحمد جريبيع، متشوق للبدو، جمع وتقديم: (مراد غزال)، دار تادمايت للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، د.ت.
- بوطي غطاس، لهيب المشاعر، منشورات السائحي، الجزائر، ط1، 2015.
- جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات دار الإبداع الثقافية، دار هومة للطباعة، الجزائر، دط، 2003م.
- الجموعي بالمصطفى، واحة الأنس، مطبعة مزوار، الوادي، ط1، 2011.
- ابن رشيق القيرواني، العمدية في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: (محمد قزقزان)، ج2، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط2، 1994م.
- صلاح الدين باوية، شعراء الملحون بالجنوب الشرقي الجزائري "منطقة وادي ريف"، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريبرج، الجزائر.
- عبد الله الركبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج1، 2009م.
- عبد الله الغدامي، "كيف تتذوق قصيدة حديثة"، مجلة فصول (الحدث في اللغة العربية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1984، مج2، ع4.
- عيسى بن سعيد الحوقاني، التناص في شعر نزار قباني، مكتبة الغبيراء، سلطنة عمان، ط1، 2012.
- مباركة دهنون، الدنيا صعبة، منشورات مديرية الثقافة والفنون لولاية المغير، 2023.
- مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

الهوامش والإحالات

- ¹ - جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات دار الإبداع الثقافية، دار هومة للطباعة، الجزائر، دط، 2003، ص37.
- ² - ابن رشيق، العمدية في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محمد قزقزان، ج2، ط2، دار المعرفة، لبنان، بيروت، 1994م، ص137.
- ³ - عبد الله الركبي الشعر الديني الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج1، 2009م، ص377، 378.
- ⁴ - مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، ص238، 237.

- ⁵ - مباركة دهنون ، الدنيا صعبة ، منشورات مديرية الثقافة والفنون لولاية المغير ، 2023 ، ص 36.
- ⁶ - المرجع نفسه ، نفس الصفحة.
- ⁷ - الجموعي بالمصطفى ، واحة الأنس ، مطبعة مزوار ، الوادي ، ط 1 ، 2011 ، ص 15.
- ⁸ - المرجع نفسه ، نفس الصفحة.
- ⁹ - مباركة دهنون ، الدنيا صعبة ، ص 36.
- ¹⁰ - نفس المرجع ، نفس الصفحة.
- ¹¹ - نفس المرجع ، نفس الصفحة.
- ¹² - الجموعي بالمصطفى ، واحة الأنس ، ص 17.
- ¹³ - نفس المرجع ، نفس الصفحة.
- ¹⁴ - نفس المرجع ، نفس الصفحة.
- ¹⁵ - أحمد الأمين ، من فحول الشعراء في سيدي خالد ، بسكرة ، دار السبيل للنشر والتوزيع ، بن عكنون ، الجزائر العاصمة ، 2008 ، ص 237.
- ¹⁶ - بوطي غطاس ، لهيب المشاعر ، منشورات السائي ، الجزائر ، ط 1 ، 2015 ، ص 37.
- ¹⁷ - عبد الله الغدامي ، كيف تتذوق قصيدة حديثة ، مجلة فصول (الحدثة في اللغة العربية) ، مج 2 ، ع 4 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1984 ، ص 95.
- ¹⁸ - مباركة دهنون ، الدنيا صعبة ، ص 32.
- ¹⁹ - نفس المرجع ، نفس الصفحة.
- ²⁰ - صلاح الدين باوية ، شعراء الملحون بالجنوب الشرقي الجزائري "منطقة وادي ريغ" ، دار خيال للنشر والترجمة ، برج بوعرييج ، الجزائر ، ص 89.
- ²¹ - أحمد جريب ، متشوق للبدو ، جمع وتقديم مراد غزال ، دار تادمايت للنشر والتوزيع ، عنابة ، الجزائر ، ص 28.
- ²² - المرجع نفسه ، نفس الصفحة.
- ²³ - أحمد الأمين ، من فحول الشعراء في سيدي خالد ، مرجع سابق ، ص 233.
- ²⁴ - عيسى بن سعيد الحوقاني ، التناص في شعر نزار قباني ، ط 1 ، مكتبة الغبيراء ، سلطنة عمان ، 2012 ، ص 55.
- ²⁵ - أحمد الأمين ، من فحول الشعراء في سيدي خالد ، مرجع سابق ، ص 270.